بديعة امين ، **المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية** ، (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤) .

ما يزال تاريخ الحركة الصهيونية ، وتحديد الاسباب الموضوعية لنشوئها ، ومدى ارتباط هذه الاسباب بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي سادت اوروبا الغربية والشرقية، مجال اخذ ورد . ولقد لجأ عدد من الكتاب الغربيين والعرب الى تفسير نشوء الحركة الصهيونية وتطورها تفسيرا مثاليا طوباويا حيث كان التحليل يتركز بشكل اساسي على « النفسية اليهودية المميزة » ، و« الاساطير التوراتية » ، و « عقدة الشعب المختار » و « التركيب الفيزيولوجي الخاص » باليهود دون غيرهم . ولم يتنبه هؤلاء الكتاب العرب الى ان تحليلاتهم تلتقي من حيث لا يدرون مع التحليلات الصهيونية التي تحاول ابراز هذه الصفات « المميزة والفريدة » ليهود العالم ، وذلك من اجل تكريس وجود « شعب يهودي » واحد له صفاته القومية الخاصة ، وبالتالي ضرورة وجود « ارض واحدة » يعيش عليها هذا الشعب ضمن كيان سياسي واقتصادي وثقافي مستقل .

ويأتي كتاب بديعة امين ليضع الحركة الصهيونية ضمن الاطار الصحيح ، مستعيدا الظروف المادية — التاريخية الموضوعية التي كانت في اساس الدعوة الصهيونية وبروزها . وذلك نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها اوروبا الغربية والشرقية في اواخر القرن التاسع عشر ، وانعكاس هذه التحولات على الدور الاقتصادي الذي كان يلعبه اليهود في اوروبا ، وبالتالي التوصل الى تبيان الارتباط العضوي للحركة الصهيونية بالتوسع الاستعماري ، وتحول الرأسمالية الى امبريالية . وما تريد ان تؤكد عليه الكاتبة هو ان الصهيونية هي في جوهرها احد افرازات النظام الاستعماري الامبريالي وليست حركة قومية خاصة بالبرجوازية اليهودية الكبيرة .

ولكي تتوصل الكاتبة الى اثبات هذا الاستنتاج ودعمه ، كان لا بد ان تعود الى دراسة وضع اليهود التاريخي والاقتصادي منذ بدء ظهورهم على مسرح التاريخ حتى بروز الحركة الصهيونية . لذلك قسمت كتابها الى اربعة فصول ، حيث تتحدث في الفصل الاول عن « الدوافع المادية والجذور التاريخية للهجرة اليهودية » .

ففي هذا الفصل تؤكد على ان الظروف القاسية والصعبة التي كان يعاني منها اليهود من جراء تواجدهم في مناطق فلسطين الجرداء ، اضافة الى النزاعات الداخلية بين اليهود انفسهم او مع الشعوب المجاورة والغزو الذي كانت تتعرض له فلسطين ، لكونها واقعة بين امبراطوريتين ، امبراطورية ما بين النهرين وامبراطورية الفراعنة، شكلت بمجملها العامل الاساسي في دفع اليهود للهجرة والاستيطان في مناطق خارج فلسطين ، وظلت « اسرائيل » تستند في الدرجة الاولى على اقتصاد ريعي — صيرفي — ضريبي يغطي المنطقة الوسطى من فلسطين . وهكذا كانت البنية الاقتصادية مسيطرا عليها من قبل الارستقراطية اليهودية ورجال الدين . حتى ان هيكل سليمان لم يكن مركزا دينيا بقدر ما كان موردا اساسيا للخزينة عبر الكهنة اليهود . ومرت هذه الارستقراطية اليهودية بمراحل متعددة شهدت انتقالها من كنف اليونانيين الى كنف الرومان . حتى كان تدمير هيكل سليمان عام ٧٠ م حيث كان العدد الاكبر من اليهود في ذلك الحين يعيش خارج فلسطين . اذ ان عددهم في الامبراطورية الرومانية وحدها كان زهاء اربعة ملايين مع نشوء الدعوة المسيحية بينما لم يتجاوز في الفترة ذاتها ٧٠٠ الف في فلسطين .

وتنتقل المؤلفة في الفصل الثاني الى القاء الضوء على « ظهور المشكلة اليهودية مع ولادة الطبقة التجارية المسيحية وبدء انهيار الاقطاع ». ففي الامبراطورية الرومانية التي كان حكامها وارستقراطيوها يحتقرون النشاط التجاري والمالي سيطر اليهود على هذا النشاط سيطرة تامة . اما في اوروبا الاقطاعية ، فكان وضع التجار اليهود وضعا مميزا من ناحية القدرة على تقديم الخدمات والاموال الى الاباطرة والقياصرة والملوك والاقطاعيين والنبلاء ، وذلك لتمويل عمليات هذه الفئات الحربية . فنشأ ارتباط بين حكام اوروبا وملوكها واقطاعييها وبين اليهود الذين كانوا